ALTRALANG Journal
e-ISSN: 2710-8619 p-ISSN: 2710-7922
Volume 5 Issue 3 / December 2023 pp. 472-484

بلاغة الكناية واستراتيجية تداولها في الخطاب السياسي الجزائري المعاصر

ذهبية حمو الحاج[1]*
جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر
hamoulhadj_d@yahoo.fr
لامية قداش[2]
جامعة أمحمد بوقرة، بومرداس، الجزائر
l.keddache@univ-boumerdes.dz

استلم: 2023/02/11، **مقبول:** 2023/12/30، **نشر:** 2023/12/31

The Rhetoric of Metonymy and Its Circulation Strategy in The Contemporary Algerian Political Discourse

ABSTRACT: *Recent studies have confirmed that language is not only a means of describing facts and events, but a means of performing other functions that play an important role in human life: promise, questioning, ending, warning, encouragement, incitement... In fact, it is a role that refers us to the verb of words. And in achieving this verbal act, the sending Alfina is directed to direct and indirect expression, It is possible to talk about a political sender who manipulates language in the words of Fenstein and intends to pass his words between irony and conscience in saying obligation to address it by activating appropriate interpretation mechanisms to reach apparent and hidden purposes, It is in that intention that his eloquence is reflected in the recruitment and engagement of the factual faculty in an attempt to make the rhetoric work. In this research, we seek to stand up to the rhetoric and communicate it in Algeria's contemporary political discourse in its old concept, and to engage it in the wording of the words implicit in the modern deliberative concept, in search of strategies for its circulation among addressees, based on the deliberative approach of its mechanisms and its contemporary procedural concepts, revealing how to use language. This has allowed us to reveal that it is eloquent that it belongs to what is destructive, that it brings about the coherence and harmony of political discourse, that it is reflected in the modern circular concept, and that it has a distinctive and necessary place in political verbal interaction as it does in normal everyday practice.*

KEYWORDS: Rhetoric, pragmatics, political discourse, implied, metonymy.

الملخص: يقوم لقد أكّدت الدّراسات الحديثة أنّ اللّغة ليست وسيلة لوصف الوقائع والأحداث فحسب، وإنّما وسيلة لأداء وظائف أخرى تؤدّي دورا مهمّا في حياة البشر ومنها: الوعد، والاستفهام، والنّهي، والتّحذير، والتّشجيع، والتّحريض... وفي الحقيقة هو دور يحيلنا إلى الفعل النّاتج عن القول. ولتحقيق هذا الفعل الكلامي ألفينا المرسل متوجّها إلى التّعبير المباشر والتّعبير غير المباشر، وبذلك يمكن الحديث عن المرسل السّياسي الّذي يتلاعب باللّغة على حدّ تعبير فجنشتاين، ويتأرجح قصد تمرير أقواله بين السّخرية والاضمار في القول ملزما مخاطبَه بتفعيل آليات التّأويل المناسبة للوصول إلى المقاصد الظّاهرة والخفيّة، وفي ذلك القصد تبرز بلاغته في توظيف الكناية الّتي تقابل القول المضمر والاشتغال بها في محاولة إنجاح العملية التّخاطبية . نسعى في هذا البحث إلى الوقوف عند بلاغة الكناية وابلاغيتها في الخطاب السياسي الجزائري المعاصر بمفهومها القديم، والاشتغال بها في صيغة الأقوال المضمرة بالمفهوم التّداولي الحديث بحثا عن استراتيجيّات تداولها بين المتخاطبين، مستندين في ذلك إلى المنهج التّداولي بآلياته ومفاهيمه الإجرائية المعاصرة الكاشفة عن كيفية استعمال اللّغة والاشتغال بها في مواقف مختلفة. الأمر الذي سمح لنا بالكشف عن كون الكناية بلاغة بانتمائها إلى ما هو مضمر وبها تحقّق تماسك الخطاب السّياسي وانسجامه، وإنّ الكناية متجليّة بالمفهوم التّداولي الحديث ولها مكانتها المميّزة والضّرورية في التّفاعل الكلامي السياسي مثلما لها مكانة في الممارسة اليومية العادية.

الكلمات المفتاحية: البلاغة، التّداولية، الخطاب السّياسي، القول المضمر، الكناية.

* المؤلف المراسل : **ذهبية حمو الحاج،** hamoulhadj_d@yahoo.fr

مقدمة

إنّ الحديث عن بلاغة الكنايّة وابلاغيتها في الخطابات السياسيّة المعاصرة هو حديث عن الأقوال المضمرة، فالخطيب السّياسي يوظّف البيان من أجل التّأثير في الطرف الآخر، فهو خطاب إقناعي بامتياز يستعمل كل الآليات اللّغوية وغير اللّغوية، إذ يوظف المخاطب الآليات البلاغية من استعارة وكناية في سبيل تمرير مقاصده التواصليّة، والخطابات السياسيّة الّتي سادت الحراك الشّعبي الجزائري تتّسم بحضور شعارات ذات حمولة بلاغيّة مكثّفة، تعتبر هذه الشعارات من أبرز مظاهر خطاب الاحتجاج وأهمّها. تؤدّي الكناية دورا مهما في صناعة المعنى وجلب الإقناع في الخطاب السّياسي ذلك أنّ مثل هذا النّوع الخطابي يعتمد بدرجة كبيرة على الضّمني، بحيث تطبع السّمات البلاغيّة المجازيّة في أساليبه، ثم إن استعمال الخطيب للملفوظات الضّمنيّة إنّما يهدف إلى دغدغة مشاعر الجمهور والتّأثير فيه، حيث يختار المخاطب التّعبير عن أفكاره وفق استراتيجية تلميحية لأنّه يدرك أنّ الخطاب الحرفي لن يناسب السيّاق ولن يعبّر عن قصده، وبذلك فهو يتبنّى الطّريقة الضّمنية التي تخرج الأقوال عن المعنى الحرفي الموضوع لها في الخطاب، ويتّخذ هذا الخروج عدّة صور وآليات، فيستثمر المخاطب كفاءته التّداولية عند إنتاج الخطاب مدركا أنَّ هناك أساليب عديدة لقول شيء ما والمقصود به شيئا آخر منها قد يكون تهكّما أو سخرية أو تشبيها، وهذا ما يدعى بالآليات التّضمينية التي تساعد المخاطب على بلوغ مقاصده ليتحقّق الضّمني دون أنّ يصرّح المخاطب بالمعنى الحقيقي.

وبذلك يمكن القول أنّ الضّمنيات تترك مجالا من الحرية سواء تعلق الأمر بالنسبة للمخاطب أو بالنّسبة للمتلقي، وتؤدّي دورا مهمّا بحيث تفرض نوعا من التشويق التأويلي.

كما تؤدي المحتويات المضمرة ومنها الكناية دورا حاسما في ضمان تماسك الخطاب لأنّه غالبا ما يتحقق المحتوى المضمر على أساس تسلسل كلامي، لأنّ توظيف الكناية في الخطاب السّياسي يجعل التّواصل متحّققا على خلفية معرفية معروفة الافصاح عنها نظرا لما تفرضه أساليب ممارسة هذا الخطاب في الحياة الجماعية، التي تستدعي التّعامل على الخفّي من القول عن طريق المصّرح به منه، فبفضل الضّمنيات يمكن للمخاطب السّياسي أن يقول أمرا ثم يتظاهر بأنّه لم يقله ولكنّه قد يتّهم بأنّه قال ما قاله دون الاعتقاد بصحّة ما يقوله في الواقع، ومن هنا يمكن أن نتفادى بعض الضمنيات التي لا نرغب فيها في بعض الأحيان ولكن تبقى الاستعانة بها من ضروريات ممارسة اللّغة في المجتمع، الذي يفرض قيودا صارمة في التّعامل باللّغة بحيث ينبغي على المخاطب السّياسي اختيار الأساليب والأقوال اللازمة في المواقف المناسبة للتّعبير عن آرائه وأفكاره.

وضمن الخطابات السّياسية نجد ما يسمّى بالشّعارات التي أضحت أحد سمات الأحداث السّياسية المميّزة للعصر الحديث بخاصّة، فهي الوسيلة الأكثر فعالية للتّعبير عن الآراء وموقف الشّعوب تجاه الأنظمة السّياسية، وترتبط هذه الشّعارات كثيرا بظهور الانتفاضات المنبثقة عن الضّغوط الممارسة ضد الشّعوب، كما تعدّ أبرز الأدوات المستخدمة سواء في المظاهرات السّياسية، أو الاعتصامات، أو الصّراعات السّياسية بشكل عام، وتتلخّص في كلمات قليلة تختصر وضعيات مختلفة: سياسية، اجتماعية، ثقافية، اقتصادية... والجماهير حاليا ولأسباب متعدّدة تتوجّه في مظاهراتها إلى استعمال الشّعارات، التي تكتسب فعالية كبيرة بفعل وضوح المطالب والاختصار فيها واختلاف مضامينها، وتبقى مميّزة في أساليبها التي تنحو إلى التّعبير غير المباشر والضّمني السّاخر والتّهكّمي ضمن المظاهر البلاغية المجازية (الكنايات والاستعارات...).

ومن خلال هذا التّصوّر ولمعالجة إشكالية الكناية في الخّطاب السّياسي الجزائري سنتوقف عند بعض المفاهيم الإجرائية المساعدة على تحليل المدوّنة، وثم ننتقل إلى تحديد المنحى التّداولي في الكناية وذلك بالوقوف عند مبحث الضّمنيات في الخطاب والتّركيز على الأقوال المضمرة التي تقابل في مضمونها ما يدعى بـ Les sous-entendus، ليأتي دور الاهتمام بالجانب البلاغي وتحديد مفهوم البلاغة عند العرب والغرب وأثر مظاهرها في الخطاب السّياسي، وحتى تكتمل القراءة التّداولية آثرنا الوقوف عند الكناية والدّلالة الاستلزامية في الشّعارات السّياسية واتمام الدّراسة ببلاغة المعاني المجازية الكنائية لننهي البحث ببعض النّتائج المرتبطة أساسا بتحليل المدوّنة.

أوّلا: الكناية: المصطلح والمفهوم

تعدّدت مفهومات الكناية واختلفت النّظرة حولها بين القدماء والمحدثين: الكاف والنون والحرف المعتل تدلّ على عدول في لفظ إلى آخر دال عليه، يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي:" كنى فلان عن الكلمة المستفحشة يكني: إذا تكلم بغيرها مما يستدل به عليها نحو الجماع والرفث والغائط ونحوه [1](الخليل بن أحمد الفراهيدي، 1980، ص411)، وقال ابن فارس: "يقال كنّيت عن كذا بكذا إذا تكلّمت بغيره مما يستدل به عليه" [2](أحمد بن فارس، 1979، ص139).

أمّا ابن منظور فيذهب إلى أن الكناية:" أن تتكلّم بشيء وتريد به غيره وكنى عن الأمر بغيره، يكني كناية، يعني إذا تكلّم بغيره، مما يستدل به عليه، نحو الرفث، والغائط ونحوهما" [3](ابن منظور، 1994، ص233).

ويرى عبد القاهر الجرجاني أن "المراد بالكناية ها هنا أن يريد المرسل إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللّغة ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه" [4](عبد القاهر الجرجاني، 2004، ص66). أمّا السكاكي فيعرّف الكناية بقوله : " بأنّها ترك التّصريح بذكر الشّيء إلى ذكر ما هو ملزومه لينتقل من المذكور إلى المتروك" [5] (أبو يعقوب السّكاكي، 1981، ص637) ويقول في موضع آخر " وسُمي هذا النّوع كناية لما فيه من إخفاء وجه التّصريح ودلالة كنى على ذلك لأنّ : (ك، ن، ي) كيفما تركّبت دارت مع تأدية معنى الخفاء من ذلك كنىّ على الشّيء يكنّي إذا لم يصرّح به ومنه الكُنى وهو : أبو فلان وابن فلان وأم فلان وبنت فلان سميّت كنى لما فيها من إخفاء وجه التّصريح بأسمائهم الأعلام، ومن ذلك كنى في العدو، ويكنّى إذا أوصل إليه مضار من حيث لا يشعر بها"[6] (أبو يعقوب السّكاكي، 1981، ص512) تحيل كل التقليبات الحرفية لمصطلح الكناية على معان الخفاء والسّتر وإضمار .أمّا القزويني فيرى أنّ الكناية " لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينئذ" [7] (القزويني، 1998، ص301).

تكشف العودة إلى العلماء العرب أنّهم حدّدوا الكناية على أنّها من حيث اللّفظ يراد بها الدّلالة على معنى غير معناه الحقيقي الموضوع له في أصل اللّغة، وقد ظهرت عندهم في بحوث كثيرة ومتفرّقة وتحدّدت أسباب وجودها وتوظيفها، أمّا وصفها بدقة وعلميّة ففي ذلك الكثير من التّأمّل والتّدقيق، يقول الجرجاني في مثل هذا التّصور :" الكناية هي أن يريد المرسل إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللّفظ الموضوع له في اللّغة ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوصي به إليه ويجعله دليلا عليه"[8] (عبد القاهر الجرجاني، 1996، ص22)، ويبدو أنّ أعمق تعريف للكناية وأكثر استعمالا لها نجده عند السكاكي في قوله :"هي ترك التّصريح بذكر الشّيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك"[9] (أبو يعقوب السكاكي، 1981، ص637).

تعدّ الكناية إذًا من الأساليب المجازية الّتي يلجأ إليها المرسل أثناء استعمال اللّغة وتداولها، ومقاربتها من النّاحية التّداولية يكشف عن أبعاد كثيرة في كيفية تصوير الضّمني من القول وتوظيفه في الممارسات المقامية المختلفة، فـ :"الغاية من استعمال المكوّن التّداولي في أبعاده الاستعارية والمجازية والكنائيّة هو تصوير المضمر من المعاني أو اشتقاقها أو اقتضاؤها أو استلزامها وهي وسيلة يتيحها استعمال اللّغة وتتفنن في عرضها الذّات المرسلة"[10] (ليلى كادة، 2014، ص127).

ثانيا: المنحى التداوليّ للكناية

يعود استعمال مصطلح التداولية إلى الفيلسوف الأمريكي " شارل موريس" وذلك سنة 1938م، انطلاقا من عنايته بتحديد الإطار العام لعلم العلامات أو السميائية، وتمييزه بين ثلاثة علوم: علم التّراكيب، وعلم الدّلالة، والتّداولية. تطلق التّداولية من حيث معناها الضيّق على التخصص أو التّخصصات الّتي تعنى بالمكوّن التداولي، ومن ثمّ عرف هذا المصطلح انتشارا، وتطوّرا واسعا من قبل باحثين آخرين لتتحول بعدها إلى ملتقى لمصادر الأفكار وتأملات مختلفة. إنَّ نشوء الّتيار التداولي، كان بمثابة ردّة فعل على معالجة "تشومسكي" للّغة، بوصفها شيئا تجريديا بعيدا عن دلالة الخطاب، إذ تتحدّد بالنّظر إلى التّراكيب المنجزة، وفق ظروف سياقية معيّنة، وبالنظر إلى مقاصد المرسل الّتي يريد ابلاغها للمخاطب، ومثل هذا المنحى ليس غريبا على الفكر العربي، إذ يشهد البحث اللّساني حديثا الاشتغال بهذا المصطلح، الّذي يعود إلى أوّل من استعمله في الدّرس اللّساني العربيّ وهو الفيلسوف المغربي "طه عبد الرحمان" (سنة 1970م)،

إذ يعدّ أوّل من وضع مصطلح "التداولية"، أو "التداوليات"، ولعلّ اقتراحه لهذا المصطلح التداوليات في مقابل براغمتيك قادر في نظره على أن يفي الغرض حقه من حيث دراسة اللّغة البشرية من خلال عنصري الاستعمال والتفاعل.

يهتم التّيار التّداولي بدراسة اللّغة المنجزة في إطار التّواصل، وليس بمعزل عنه، لأنّ اللّغة لا تؤدي وظائفها إلاّ فيه، فهي لا تنحصر فقط في التّبليغ والتّعبير، بل تتجاوز ذلك إلى وظائف مختلفة وهذا حسبما يقتضيه السّياق والمقام. إنّ التّداولية علم جديد للتّواصل يدرس الظواهر اللّغوية في مجال الاستعمال ويستدعي بحوثا معرفيّة متعدّدة، في معالجة التواصل اللّغوي وتفسيره[11] (آن ربول، جاك موشلر، 2003، ص14)، كما أنّها تمثّل جسرا يربط بين حقول معرفيّة متعدّدة منها: الفلسفة التّحليليّة متمثّلة في فلسفة اللّغة العادية، وعلم النّفس المعرفي متمثّلا في نظرية الملائمة...

تعود نظريّة أفعال الكلام في الأصل إلى "أوستين" الّذي وضع أسسها، ثمّ يطوّرها تلميذه "سورل" ويقوم بتوسيع مجالها "غرايس". وهذه النظرية مبنية أساسا على كون الجمل اللّغوية لا تنقل مضامين مجرّدة، وإنّما تؤدي وظائف مختلفة باختلاف السياقات والمقامات. واضافة إلى ذلك تقوم التّداولية على مفاهيم عديدة ومن بينها: الفعل الكلامي، والقصدية، والاستلزام الحواري "المحادثي"، ومتضمّنات القول.... والعمل بهذه المفاهيم الحديثة قد يحيلنا إلى مقابلاتها في التّراث العربي مثل: الخبر والإنشاء، والاضمار، والحقيقة والمجاز، الاقناع... وانطلاقا من ذلك آثرنا البحث في مفهوم الكناية بآليات تداولية حداثية، إذ تدخل في مبحث الضّمنيات بما تستوجبه من بحث في الجوانب الخفيّة من معاني الأقوال التي يقصدها المخاطب دون الإفصاح عنها.

1-**الضمنيات**: Les implicites

تعتبر الضّمنيات من بين المباحث المهمة الّتي تتركز عليها التداولية، وتعرف على أنّها "كل المعلومات القابلة للنّقل عبر قول معين، والّتي يبقى تفعيلها خاضعا لبعض خاصيّات السّياق التعبيري الأدائي"[12] (كربرات أوركيوني، 2008، ص74). فالضّمني هو ذلك الكلام غير المباشر، والّذي لا يظهر في الجانب السّطحي للملفوظ، أي أنّ الكلام يحوي معنيين معنى حرفي "مباشر"، ومعنى ضمني "غير مباشر"، فكل تواصل "يكون تصريحيّا بشكل جزئي، وضمنيّا بشكل جزئيّ أيضا وكل دلالة تنشأ في قسم منها معطيّات ضمنيّة، وغالبا ما يبدو في الواقع نصيب الضمنيّ أكثر من نصيب الحرفيّ ؛ لأنّه موجود بالغالب حيثما نظرت، سواء تعلّق الأمر بالمعنى الحرفي أو بالقيمة اللاقوليّة او بالأعمال غير المباشرة أو بالإخباريّات أو برؤية للعالم يختص بها لسان معيّن"[13] (فيليب بلانشيه، (2007)،ص 144)، ففي الجملة التالية: "إنّها الساعة الثّامنة ونصف"، يفهم السّامع من هذا الملفوظ معنى" أسرع" أو "لا تستعجل"، وذلك حسب التأويل الّذي يذهب إليه ويتمّ ذلك بدرجات متفاوتة، ولا يمكن العمل بها إلاّ في ظروف معيّنة إذ ليس من السّهل دائما تحديد معالمها، ويمكن أن نميّز بين الضّمنيات الدّلالية والضّمنيات التّداولية، فالأولى ترتبط أساسا بالمحتوى اللّساني للملفوظ والثّانية لا يمكن الوصول إليها إلاّ من خلال ربط الملفوظ بسياقه، وذلك بالاعتماد على قوانين الخطابLois de discours. ومن الضّمنيات الجليّة في التّداولية نجد الأقوال المضمرة والافتراضات المسبقة وما يرتبط بهما من مظاهر أخرى تؤدّي دورا في التّواصل البشري.

2-**الأقوال المضمرة** Sous-entendus:

يحدّد مسعود صحراوي الأقوال المضمرة على أنّها النّمط الثّاني من متضمّنات القول وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض المسبق، الّذي يتحدّد على أساس ما تقدّمه من معطيات لغوية. يتحدّد القول المضمر عند أوركيوني بـ: "كتلة من المعطيات الّتي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"[14] (C.K, Orecchioni, 1986, P36) مثال: "السّماء صافية تماما". إنّ السامع لهذا الملفوظ قد يعتقد أن المرسل أراد أن يدعوه إلى: الذّهاب إلى الشاطئ، أو العدْو، أو التنزّه، أو الذّهاب بالماشية إلى المراعي.... والسّياقات تتعدّد حسب الحالات المقاميّة الّتي ينجز ضمنها الخطاب.

إنّ الخطاب الشفوي والخطاب المكتوب النّاتج في سياق ما له قدرة على افتراض كل شيء في العالم وحتى تغييره إذا ربطناه بالأفعال المنجزة اجتماعيا، وفي هذا الفعل الانجازي فإنّ المرسل كثيرا ما يبتعد عن استعمال الكلام المباشر فيلجأ إلى المعاني الضّمنية، نظرا لوجود بعض المعوّقات والمحظورات في مجتمع ما، بهدف فكّ الرّقابة الّتي تفرضها الأخلاق، أو السّياسة، أو القوانين الاجتماعية،

والتّمرّد على قوانين الصّمت الّذي يفرض الحديث عن بعض الأمور الخطابية، ففي سياق اجتماعي معيّن هناك العديد من القضايا والمسائل الّتي ينبغي عدم ذكرها بشكل مباشر، وبهذا المنطلق فإنّ الضمنيات تسمح لنا بعدم مواجهة الشخص الّذي نهاجمه كلاميا مواجهة مباشرة إذ أنّها تجعل الشخص يحافظ على نفسه، ويتمكّن من تمرير كلامه دون أي خطر، ويتفادى الكلام غير اللائق والانتقادات. تخضع الضّمنيات لظاهرتي التّوجيه والتّأويل فالتّوجيه يتجلّى في الرّسالة الموجّهة للمتلقي بهدف الاقناع، أمّا الّتأويل فتترك له مجالا أو يستخلص النتيجة بنفسه ويختار المعنى المناسب، كما أنّها تترك مجالا من الحرية للمتكلّم وتؤدّي دورا مهمّا في سدّ الثّغرات والبحث عن الحلقات المفقودة في الكلام، ومثل هذه المظاهر نجدها بشكل جليّ في شعارات الخطاب السّياسي المنتشر مؤخّرا في كثير من المجتمعات " إذ تقوم بوظائف بالغة الأهميّة أهمها صياغة مطالب المحتجّين في شكل بلاغي موجز، ويصبح ترديدها بشكل جماعي علامة على حصولها على قبول عام"[15] (منير الجوري، 2018، ص95).

يتمّ تواصل البشر بالأقوال الضّمنية أكثر من تواصلهم بالأقوال المباشرة الّتي لا تستخدم إلاّ في حالات قليلة جدّا وهي ترتبط في الغالب بما يسمى بالأقوال التشريعية، كالتّوكيل والوصية والتّوريث وغيرها، وإن استخدمت هنا الأقوال فهي تؤدي إلى الغموض وضياع الحقوق. وفي هذا الصّدد نجد المرسل يختار التّعبير وفقا لاستراتيجية التّلميح، لأنّه على علم أنّ الخطاب المباشر لن يتناسب مع السياق وبالتّالي يتوجّه إلى التّعبير بطريقة ضمنية تتجاوز المعنى المباشر في الخطاب، وليس للتّجاوز نمط واحد فحسب بل يأخذ هذا التّجاوز أنماطا وآليات متعددة تجعل المرسل يستعين بكفاءته التّداولية عند التّعبير عن مقاصده عن طريق إنتاج خطاب فيه مؤشّرات الإفهام والفهم ومستعينا بطرائق عديدة تسمح بالتّحايل على المتلقي مثل: التهكم، السخرية... ولنجاحها تستدعي هذه الطرائق ما يعرف بأدوات الاستراتيجية التّلميحية، "فالكلام لا يعني دائما التصريح بل يعني أحيانا حمل المستمع على التفكير في شيء غير مصرّح به، وهو كلام متضمّن في القول الصّريح، فالقول لا يعني أن نقول كلّ شيء قولا صريحا والمتحدث عادة ما يتلفظ بالصّريح من أجل تمرير المضمر، وهكذا فالمضمر يلعب دورا أساسيا في المحادثة، والتّداولية تولي اهتماما كبيرا للاستراتيجية غير المباشرة للمتكلّم، كما تولي الاهتمام نفسه لتأويل الملفوظات من قبل المستمع"[16] (D.Mainguenau, 2001, P81).

أ-البلاغة في المفهوم العربي والغربي:

يتحدّد معنى البلاغة لغة بـ: وصل الشيء إلى غايته ومراده، وانتهائه إليه، في لسان العرب: "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى، وبلّغه إبلاغا وبلّغه تبليغا...ونقول: له في هذا بلاغ، وبُلغة تبلّغ أي كفاية"[17] (ابن منظور، 2008، ص143)، وفي مختار الصّحاح: "ب ل غ : بَلَغ المكان وصل إليه وكذا إذا شارف عليه ومنه قوله تعالى {فإذا بلغن أجلهن} أي قاربنه و بَلَغَ الغلام أدرك بابهما دخل والإبلاغُ و التّبليغُ الإيصال والاسم منه البَلاَغُ والبلاغ أيضا الكفاية وشيء بالِغٌ أي جيد و البَلاَغةُ الفصاحة و بَلُغَ الرجل صار بَليغاً وبابه ظرف و البَلاَغاتُ كالوشايات و البُلِغِينُ الداهية وهو في حديث عائشة رضي الله عنها و بَالَغَ في الأمر إذا لم يقصر فيه و البُلْغةُ ما يتبلغ به من العيش و تَبَلَّغَ بكذا أي اكتفى به"[18] (عبد القادر الرّازي، 1976، ص26)، وهكذا في باقي المعاجم العربية الّتي لا يخرج فيها معنى البلاغة كما أسلفنا ذكره من معنى الوصول والانتهاء إلى الغاية المرغوب فيها.

أمّا معناه الاصطلاحي فقد أشار إليه كثير من البلاغيين إلا أنّه كثيرا ما يرتبط بالإقناع والوصول إليه، فقال الجاحظ: "يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"، ونفس الشيء بالنسبة لما قاله عنها الرماني: "توصيل المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللّفظ"، وأبي هلال العسكري وغيرهم، أمّا عند الجرجاني فهناك ربط البلاغة بالتّركيب وليس باللّفظ كما فعل الجاحظ وغيره، فهي عنده مرتبطة بطريقة تنسيق الكلام بعضه ببعض، وبالتّالي اكتسبت البلاغة مفهوم صناعة الكلام وتنسيقه وتشكيله ليصل إلى المستمع واضحا مفهوما وحسن المعنى، وحتّى إعجاز القرآن في رأيه لم يكن في ألفاظه لأنّها كانت متداولة بين قبائل العرب وإنّما كان في تركيبه وتشكيل جمله.

لابد من القول أنّ مفاهيم البلاغة وصلت إلى حدّ كبير من العمق عند العرب، إذ نبغوا فيها وفي تحديد معالمها وشروط اشتغالها ولاسيما وأنها ظهرت وتطوّرت في بيئة المشافهة، الّتي ميّزت التّراث العربي والعرب في حياتهم الاجتماعية والأدبية والشّعرية بالخصوص،

وأعطوا للبلاغة أبعادا مميزة من خلال معالجة أساليب الممارسة الكلامية المختلفة وما ينضوي تحتها من بيان وبديع. والكناية باعتبارها عنصرا بلاغيا مهمّا في تواصل العرب في زمانهم احتلّت مكانة لا تضاهيها أخرى إذ تنحو إلى تقسيم كلام العرب إلى مباشر وغير مباشر، رغم كون الاستعمال اللّغوي العربي في العصور القديمة يتأسّس على ما للمتخاطبين من قدرات على الإنتاج والتّأويل. لقد نشأت البلاغة من التقاء روافد فكرية مختلفة لهذا تعدّدت مفاهيمها بين اللّغويين والمرسلين والأدباء، فارتبطت عند اللّغويين بالإفصاح والبيان وعند المرسلين بالإقناع وعند الأدباء بأسلوبية النص الأدبي.

يعرّف الخليل ابن أحمد الفراهيدي في توجّهه اللّغوي (ت170ه) البلاغة "بأنها ما قرب طرفاه وبعد منتهاه"[19](ابن الرّشيق القيرواني، 1972، ص245)، وهي عند ابن الأعرابي (ت231ه) بمنظور القيرواني "التّقريب من البغية ودلالة قليل على كثير"[20] (ابن الرّشيق القيرواني، 1972، ص246)، وإذا ما رجعنا إلى علي ابن أبي طالب (ت40ه) فنجد لديه تحديدا لغويا للبلاغة حيث يقول: " البلاغة افصاح قول عن حكمة مستغلقة وابانة عن مشكل"[21] (أبو هلال العسكري، 1971، ص58)، والبلاغة عند ابن المقفع "اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة منها ما يكون شعرا ومنها ما يكون سجعا ومنها ما يكون خطبا وربّما رسائل، فعامّة ما يكون من هذه الأبواب، فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ والايجاز هو البلاغة"[22] (أبو هلال العسكري، 1971، ص58).

ليس للبلاغة مفهوم واحد وإنّما تنوّع وتعدّد حسب مرجعيات المهتمّين به وتنوع توجهاتهم ولكنّها لا تخرج عن مفهومين أساسيين أولهما البلاغة باعتبارها صفة للكلام الّذي يصيب المعنى، لذا يمكن أن نقول هذا كلام بليغ أو هذا شاعر بليغ أو هذا أبلغ بيت قيل في وصف شيء ما. أمّا ثانيهما فهو العلم الّذي يدرس خصائص هذه الصفة المتمثلة في الكلام البليغ. والبلاغة بهذا المفهوم هي الّتي تعنينا بحكم طبيعة هذا البحث.

أمّا الدّرس البلاغي عند الغرب فقد حظي باهتمام كبير منذ القدم، وأشهر ما وصلنا وأقدمه يعود إلى الفيلسوف اليوناني أرسطو وذلك لما جاء في كتابه "الخطابة"، إذ يربط البلاغة بصناعة الخطابة أو ما سماه هو بالإمبراطورية منه أخذ مصطلح Rhétorique عند العرب والخطابة عنده هي الخطاب الإقناعي الموجّه لجمهور معينّ حدّده أرسطو في ثلاثة أقسام نموذجية؛ الخطاب القضائي (في المحكمة)، الخطاب الاستشاري (في مجلس استشاري) الخطاب الاستحضاري أو التثبيتي (في التجمعات التذكارية)، "وهذه الخطابات توجّه عموما إلى المستمع الّذي عدّه أرسطو الغاية من إنتاجها لأنّه هو من يراد إقناعه وتغيير سلوكه أو وجهة نظره، ويَعتبر المرسلين المفضلين لفنّ البلاغة مستمعين مخصوصين، يجمع بينهم التّنافس بين خطابات متعارضة؛ بمعنى الاختيار في الّتي هي أكثر اقناعا"[23] (بول ريكور، 1970)، مع العلم أنّ هذه الخطابات تستند إلى آليات ضرورية تسهم في اقناع المرسل.

ونشهد في العصر الحديث ومع ما يدعى بالبلاغة الجديدة محاولة "بيرلمان" إحياء هذا التراث وذلك في أعماله "إمبراطورية البلاغة"، أو البحث الّذي قام به مع "لوسي أولبيخت تيتيكا"(traité de l'argumentation) . قام "بيرلمان" بتوسيع مجال الخطابة والبلاغة لتضمّ كلّ أنواع الخطابات الرّسمية وغير الرّسمية لأنّه يرى أنّ الإقناع لا ينحصر في هذه الخطابات الثّلاث فقط، بل يوجد حتى في ممارساتنا الكلامية اليومية العادية، الأمر الّذي جعل بول ديكرو يعتقد أننا "نتكلم عامّة بقصد التأثير"[24] (جميل حمداوي، 2013، ص33) رغم أنّ "بيرلمان" ينظر إلى الأمر بطريقة عكسية، إذ يربط وظيفة البلاغة بالإقناع وليس بالتّأثير[25] (جميل حمداوي، 2013، ص28).

إنّ البلاغة مثل كلّ تلك الفنون الّتي تعرّف عليها الإنسان ومنها الفلسفة، الشّعر، والمسرح... وإن كانت الفلسفة تستهدف معرفة الأفكار ومناقشتها، فإنّ البلاغة تستهدف الإبلاغ والإقناع لكون الإنسان يحتكم إلى اللّغة إذا أراد التّعبير عن الأفكار وإلى البلاغة إذا أراد التّأثير في الآخر، فيمكن اعتبار البلاغة مستوى تضمينيا من اللّغة غير المرغوب فيها، لأنّها متّهمة كونها وسيلة للتّحريض وتفتقد للمصداقية إلاّ أنّها تبقى ذلك الفنّ الخطابي الّذي دعت إليه الحضارات القديمة مثل العربية واليونانية.

تعدّ البلاغة فنّا للخطاب كما تعتبر فنّا للكلام البليغ والجميل الّذي يستهدف الإفهام لجعل الآخر يعتقد في شيء ويؤمن بشيء أو ما يعرف بالتّأثير والإقناع، ومثل هذا الفن الاقناعي لا يرتبط بالنّضال السياسي وإنّما هو فعل خلق الاعتقاد عند الآخر عن طريق الوسائل الوجدانية والعقلانية، وبذلك تكون البلاغة هي فنّ الاقناع عن طريق الخطاب سواء كان ذلك إنتاجا مكتوبا أو شفويا والمتشّكل من

جملة أو سلسلة من الجمل لها بداية ونهاية والمحتملة لمعنى ما،والهدف من ورائها كامن في التّأثير والاقناع، يقول أوليفي ربول :"الإقناع هو أن تجعل شخصا مقتنعا بشيء ما، هناك ممّن يفرّقون وبصرامة بين "الحثّ" و"الاقناع"، على أنّ هذا الأخير يتمثّل في الإفهام وليس في الحمل على الاعتقاد، ومثل هذه التّفرقة ترتكز على فلسفة واديولوجية غير مزدوجة، ما دامت تقابل في الإنسان ذلك الكائن الحامل للاعتقادات والأحاسيس للكائن الذّكيّ والعاقل..."[26] (O. Reboul, 1991, P05)، وفي مسألة الافهام ينحو المرسل إلى استعمال الأقوال الضّمنية الّتي تسع كلّ المقاصد والأفكار في إمكانية تمريرها دون تحمّل مسؤوليتها في حالة المواقف الخطيرة، وهو ما يعرف بالكناية في البلاغة العربية، وما يقابل الضمنيات (الأقوال المضمرة) في البحث التّداولي الحديث.

ب-البلاغة والخطاب السّياسي:

تعود كلمة السياسة إلى الجذر اللاتيني "بوليس" Polisالّتي تعني المدينة، وارتبطت بكلمة "السياسة" من خلال المعنى المشترك والمتمثّل في فنّ تسيير المدينة، وفي هذا الشأن ينبغي التّمييز بين ما هو سياسة وما هو سياسي على حدّ اعتقاد فليب برودPh.Braud [27] (Ph. Braud, 1992, P6)، إذ يعتبر السّياسي ميدان النّشاط وعلاقات السّلطة أمّا السياسة فهي ممارسة الكلام والتّمثّل الرّمزي.

تصبح العلاقة بين ما هو سياسي وما هو سياسة مطاطية إذا أدمجنا البعد الكلامي، إنّ ممارسة الكلام الّتي يربطها برود Ph.Braud غير منفصلة في الآن ذاته عن السياسي الّذي يصبح مجالا للنّشاط وفضاء للسّلطة، فيصبح الكلام الوسيلة الأمثل للبحث عن السّلطة وتمثيلها ووسيلة للتّأثير في الآخر، الأمر الّذي جسده أوستينAustin J.Lفي مقولته الشّهيرة "عندما القول يساوي الفعل Quand dire c'est faire" [28] (J. Austin, 1970, P 37) الّتي تُبعد اللّغة من الوظيفة التّواصلية فحسب وتدخلها في مجال التّأثير من خلال الأفعال المتضمّنة في القول وما ينضوي تحتها من معاني ظاهرة وخفيّة، وبالتّالي فإن مجال السّياسة لا ينفصل بتاتا عن الممارسة الكلامية الهادفة ويمكن تعريف الخطاب السياسي على أنّه تمثّل للفضاء، وللجماعة، وللعلاقات الاجتماعية، وعلاقة الفرد بالمجتمع، وإن كان مصطلح "الخطاب السياسي" حاضرا في المجال السياسي، واتّخاذه مفهوم الصيغة التّخاطبية الّتي يحاول المرسل من خلالها الوصول إلى السلطة وتوظيفها إزاء الآخرين وضدّهم في أغلب الأحيان، وهو التّحديد الّذي يبرز البعد التّداولي للخطاب السّياسي الّذي يستثمر في البلاغة، والأفعال الكلامية، والحجاج ...

يتواجد الخطاب السياسي في مفترق طرق عدة علوم مثل: علم النفس، وعلم الاجتماع، واللّسانيات، ورغم هذه المكانة الّتي يحتلها، فإنّ من الباحثين من يعتبر الخطاب السياسي صورة من خطاب التّأثير الّذي يستجيب لقواعد النّظرية التّواصلية ومبادئها، ويذهب البعض إلى اعتباره سلاحا مثلما نجد ذلك عند اليونانيين أمثال جورجياس، لأنّ توظيفه وممارسته لا تكون بريئة، وإنّما تكون للدّفاع عن الأفكار أو الوصول إلى أغراض سواء عند هذا أو ذاك، فإنّه ينتج رابطا للتّفاعل بين أعضاء المجتمع لأنّ الانتماء إلى المجتمع يعني المشاركة في التّفاعل، ويتجسّد ذلك أثناء الممارسة بتوظيف جميع المستويات اللّغوية: النّحوية، والصّرفية، والتّركيبية، والصّوتية، والدّلالية والمعجمية.

ليس الخطاب السياسي خطابا بريئا لأنّ ممارسته تتوقّف دائما عند حدود التّأثير في الآخر فردا أو جمهورا، إلا أنّه ينبغي العلم بعدم وجود سياسي حقيقي إنّما الوضعية التّواصلية الّتي يمارس فيها ومن أجلها هي الّتي تجعله سياسيا إلى جانب ما يؤديه التّفاعل من دور في إنتاج المعنى، وبذلك يتبلور الفكر السياسي بفعل أنماط هذا التّفاعل وهوية المشاركين فيه. وبالتّالي يمكن التّساؤل: كيف يمكن تحديد الخطاب السياسي في مفهومه العام؟ لأنّ التّأثير سيكون على مستوى الفرد والجماعة أيضا، أو في جدال مع الأصدقاء، أو في محادثة يتقاسمها أشخاص سياسيون أو غير سياسيين، أو محادثة خاصّة بين شخصيات مرموقة في المجتمع من برلمانيين، ومنتخبين، ومؤيّدي السّلطة ومعارضين لها، ومن خلال هذه الأنماط التّفاعلية تظهر أهميّة الغاية من الخطاب السياسي أو المقاصد الّتي وُجد من أجلها وكذلك أهميّة تلقيه، وفي حقيقة الأمر كلّ شيء يتوقّف على القراءة السياسية.

وفي مثل هذا التّصوّر، ينبغي التّساؤل إن كانت هذه الأنماط الخطابية من الممارسة السياسية من قبيل المحادثة، والتّفاوض، والانتخابات، والنصوص القانونية ... الّتي من شأنها تفعيل السياسات داخلة في إطار الخطاب السياسي؟

تعد البلاغة أحد أبرز الحقول العلميّة الّتي أثبتت جدارتها في النّظر إلى الخطاب السياسي منذ أمد بعيد، يقول نزار التجديتي :"إذا ما حصرنا نظرنا إلى الخطاب السّياسي من زاوية الرسالة الّتي يوجّهها للجمهور يبدو نصا بلاغيا قبل كل شيء يعمل على التأثير الآني في المستمع العام من خلال إثارته لعدد من المواضيع العامة الشائكة ومعالجته لها بالحجج العقليّة والعاطفيّة الدامغة (البراهين، الأمثلة، الشواهد، الأقيسة، الخ) وإلباسه إياها بالصور والأساليب البيانيّة المؤثرة والمقنعة (المجازات، الاستعارات، الخ)" [29] (نزار التجديتي، 2016، ص110) ثم إنّ أسلوب التّلميح يعدّ من أقوى الأساليب الّتي تميّز الخطاب السّياسي وتطبعه فالخطيب يلجأ دائما إلى هذا الأسلوب لكونه من أقوى الأساليب وأبلغها، ولقد سبق أن أشار إلى ذلك البلاغيون القدامى عند حديثهم عن المجاز (الاستعارة، الكناية) ، يقول حبيب أعراب :" إن البلاغة هي قبل كل شيء عتاد بنائي وتبليغي يتوسله الخطيب أو القائل عموما لفرض موضوعه أو رأيه أو قناعته ولأجل كسب تأييد الآخر أو التأثير فيه إلا أن الصور البيانيّة والحيل المجازية واللّغوية (فن الايصال) وحدها لا تحقّق التّصديق والتّدليل ما لم تسند بأدوات ترجيح الرأي وتسويغه عقليا وهذه الأدوات هي الّتي يوفرها الحجاج أو المحاجة"[30] (حبيب أعراب، 2001، ص110). والحجاج ينقسم في مفهومه التّداولي إلى شقّين الصّريح والضّمني ولابد للكناية أن تجد موضعا بين هذا وذاك بالنّظر إلى نقاط الاشتراك بينهما.

ثالثا: **الكناية والدّلالة الاستلزامية في الشّعار السّياسي:**

لا تدلّ الكناية على المعنى مباشرة بل تتجاوز المعنى الحرفيّ للعبارة لتصل إلى المعنى المقصود المكنى عنه ولذلك يؤكّد الباحثون: "أنّ هناك علاقة أصيلة بين المضمر، وأشكال المجاز، والاستعارة، والكناية، والتشبيه، وغيرها من الوجوه البلاغية إذ كلّها تخفي ذلك المسكوت عنه، أو المشار إليه بخفاء، أو المستلزم، أو المقتضى، أو غيرها من المضامين الّتي يستوعبها مصطلح المضمر"[31] (بنعيسى عسو أزاييط، 2012، ص39). وفي سبيل الكشف عن مكانة الكناية في الخطاب السّياسي المعاصر، اخترنا في بحثنا هذا مجموعة من الشّعارات واللافتات السياسيّة المرفوعة في الاحتجاجات والحراك الشّعبي للشعب الجزائري منذ 22 فبراير 2019 م، أين خرج الشّعب الجزائريّ أطفالاً، وشيوخًا، وشبابًا معبرين عن رفضهم للعهدة الخامسة لرئاسة الجمهورية، ومن جملة تلك الشّعارات عمدنا دراسة تلك الّتي اعتمد فيها المرسل على التّعبير غير المباشر وبالتحديد على الأسلوب الكنائيّ في صياغته مثل : (**لا تحاربوا النّظام بالسّلاح فهو حتما مسلّح، حاربوه بالأفكار فهو لا يملك منها شيئا**) يبدو من خلال هذا الشعار أن المرسل لا يقصد من خلاله الدّلالة الحرفيّة للسّلاح، فأكيد الشّعب غير مسلّح وإنما يحاول المرسل تمرير مقاصده، وهي دعوة صريحة إلى تفادي استعمال العنف والتّخريب أثناء المظاهرات وكذا دعوة إلى الاستنجاد بالنّخبة الّتي يلخصها لفظ " محاربة النّظام بالأفكار"، ويحتمل أيضا القول معنى كون هذا النّظام نظاما عسكريا بدليل استعماله لفظ السلاح. إذ عبرت الكناية عن قصد المرسل في صورة فنيّة جميلة وبطريقة تأثيرية حجاجية تسمو بالخطاب إلى مصاف الكلام البليغ.

إنّ البحث في البعد الضّمني للكناية في الشّعارات السياسيّة يفترض الانتقال من الدّلالة الوضعيّة للعبارة اللّغويّة إلى الدّلالة العقليّة الاستلزاميّة، وبالتّالي يتّضح بعد التّحليل أنّ صور البيان بما فيها الكناية لا تعتمد على ظاهر اللّفظ في تأويل معناها إذ يقول مسعود بودوخة في هذا الصدد أنّ " صور البيان المختلفة لا يمكن فيها الاعتماد على ظاهر اللّفظ وحده لاستخلاص المعنى، والدّلالة فيه لا تحصل بمعرفة المعاني المعجمية للألفاظ بل المعنى هو الدّلالة الثابتة في العموم" [32](مسعود بودوخة، 2012، ص206). إنّ دور المكوّن البلاغيّ في لغة ما دور مهم في أية عمليّة تأويل للمعنى إذ "يضطلع بإنتاج المعاني الثّانية (المضمرة) المقابلة للمعاني الأولى (الصريحة) وإن كان هو المكوّن الّذي تلتقي فيها الدلالتان: الصريحة والمضمرة إلا أنّهما يندمجان فتتمخّض عنهما دلالة مقامية –بلاغيّة غالبا ما تتخذ إوالية المضمر مطيّة لها" [33](بنعيسى عسو أزاييط، 2012، ص37) ويتّضح ذلك من خلال هذا الشّعار (**تعريف بن صالح هو بوتفليقة في صحّة جيّدة**) المثقل بمعان ضمنيّة استلزامية يعبّر عن وعي الشعب ورفضه لحكومة بن صالح المؤقّتة بحيث يظهر من خلال الأسلوب الكنائي الّذي وصف به المرسل الحكومة المؤقّتة الّتي تقود الحركة الانتقالية فهي نفسها حكومة بوتفليقة، فمن المعروف أنّ بن صالح ينتمي لحزب الّتجمع الوطني الديمقراطي الّذي يتزعمه الوزير الأول الأسبق أحمد أويحي المتحالف مع حزب جبهة

التحرير الوطني الّذي يرأسه الرئيس المستقيل، وبالتالي فرافع الشّعار متيقّن تمام اليقين باستحالة التّحايل على الشّعب، فتغيير الرئيس لا يعني تغيير الحكومة والنظام التّابع له فمن المؤكّد أنّ بن صالح هو الذّراع الأيمن للرئيس المستقيل .

تحمل الكناية " مظاهر تداوليّة قيّمة تتمثّل في الانتقال بالعبارة من الدّلالة الحرفية (أصل المعنى) إلى الدّلالة المستلزمة وإقناع المتلقي للخطاب بالمعنى الجديد المستلزم بجملة من الاستدلالات " [34] (باديس لهويمل، 2014، ص220) إذ يحاول المرسل تمرير معنى مضمر وهو يوظّف الكناية، مثلما يظهر من خلال هذا النّموذج (لا **للتّدخل الأجنبي: قضية عائليّة**) وهنا يقصد تلك الصحافة الأجنبية الّتي تحاول تشويه صورة الجزائر والّتي تحاول الطّعن في الحراك الشّعبي، فالشّعب ردّ عليها بأنّ الأزمة الّتي تمر بها الجزائر مسألة داخليّة سيحلها الشّعب بالتّفاوض والنّضال إلى حين تحقيق مطالبه، فالخطاب موجّه بالخصوص إلى الصّحافة الفرنسية والإماراتية الّتي تؤكد بأنّ المظاهرات الشّعبيّة وراءها أطراف سياسيّة وتسمها بالفوضويّة، حيث حاولت التّشويش على المتظاهرين والمظاهرات تجاوزت سلميّتها وعرفت أعمال تخريب وعنف في صفوفها .

إنّ الكناية " لون من ألوان التّعبير غير المباشر، ذلك أنّها تقوم على الانتقال من الدّلالة الحرفية للعبارة إلى الدّلالة المستلزمة عنها في المستوى الباطني مع جواز إرادة المعنى الحرفي والحقيقي فقط وهو ما يميّزها عن المجاز والتشبيه اللّذين لا يصحّ فيهما إرادة المعنى الحرفي بل يشترط فيهما الانتقال إلى المعنى المستلزم (المجاز)"[35] (باديس لهويمل، 2014، ص215)، لنأخذ مثلا هذا الشّعار (**لا لبناء سفينة جديدة بخشب قديم**) الّذي عبّر الشعب به عن الحكومة المؤقّتة التي تقود المرحلة الانتقاليّة باستعمال الكنايّة تمريرا لقصد ضمني متضمّن في الخطاب، والمتمثّل في استحالة قيادة البلاد في هذه المرحلة من طرف أشخاص كانوا على رأس النّظام السّابق، فنلمس دعوة من الشّعب إلى تنحية رئيس الحكومة الانتقاليّة (بن صالح) عن السّلطة واستبداله بشخصيّة من اختيار الشعب .

وممّا يساعد في الوصول إلى المعنى المستلزم هو السياق الثقافي والاجتماعي؛ إذ يشكّل السياق الثقافي والاجتماعي قرينة مساعدة في الاستدلال على المعنى المكنى" برؤية تداوليّة يتم الانتقال في الكناية من مستوى أصل المعنى ودلالته الحرفيّة إلى الدّلالات الاستلزامية النّاتجة عنه في سياق الاستعمال ومقامه[36] (باديس لهويمل، 2014، ص217) فلولا السّياق لما اهتدينا إلى فهم الدّلالة الاستلزامية لهذا الشّعار (**تضربون أطباءكم وتتعالجون بالخارج**)، بحيث نجد الدّلالة العقليّة المستلزمة الّتي يستلزمها الخطاب خرجت من معانيها الحرفية إلى معان تواصليّة ضمنيّة يحاول المرسل تمرير قصده المتمثّل في كون النّظام ليس في المستوى المطلوب حيث وصل به الحدّ إلى ضرب الأطباء ذلك السلك الحسّاس في المجتمع، ولكن ما يريد التّنويه إليه في هذا المقام أنّ هذا النظام لا يحرّك ساكنا حيال هذه الفئة لأنّهم لا يحتاجون إليها، فهم يعالجون أنفسهم بمستشفيات بخارج البلاد فلم يضعوا مصلحة الشّعب ضمن أولوياتهم بل استغلوا السّلطة خدمة لمصالحهم الشّخصيّة لا غير.

رابعا: بلاغة المعاني المجازية الكنائية:

إنّ الكناية تداوليّا هي التّعبير عن قصد ما بطريقة غير مباشرة بمعنى أنّ المكون الكنائي ما هو إلاّ إنجاز أفعال كلاميّة غير مباشرة، فللكناية على مستوى أيّ خطاب لغوي بنيّتان : بنية سطحيّة وأخرى عميقة تتمثّل البنية السطحيّة في الدّلالة اللّغويّة الظّاهرة المكنّى بها أمّا البنيّة العميقة، فتتمثّل في الدّلالة المستلزمة عن الدّلالة الأولى، فالكناية تنتقل بمتلقّي الخطاب إلى دلالات أخرى مستلزمة فالصورة الكنائية من بين الصّور الّتي ميّزت الخطابات السياسيّة المعاصرة ، وفي الخطاب الكنائي نبحث بمعيّة قدرتنا الاستدلاليّة والسّياق عن المعاني الممكنة غير المصرح بها

نلمس من خلال جلّ الشّعارات المرفوعة في الحراك الشّعبي الجزائري خرقا في معانيها، فالبنى السّطحيّة لها واضحة ولكن المرسل لا يقصد منها هذه المعاني الحرفيّة، وإنّما يقصد هذا المعنى الّذي يخفيه الملفوظ مثلما يظهر في هذا النموذج الّذي اخترناه (**صنعناكم بغفلتنا واليوم ندمّركم بصحوتنا فأين المفرّ؟**) فإذا ما عدنا إلى سياق الكلام نجد أنه يتحدث عن رموز النّظام السّابق أو بتعبير آخر عن بقايا مؤيّدي الرئيس وهنا يقصد الحكومة الّتي تقود المرحلة الانتقاليّة، فالمرسل هنا يريد أن يبرز أنّ الأمر بيدّ الشّعب فمثلما انتخبه في أول الأمر فهو قادر على إسقاطه بصحوته وفطنته، فالبنية العميقة لهذا الملفوظ ليست نفسها البنية السطحية فلقد وظّف

ALTRALANG Journal
Volume 5 Issue 3 / December 2023

كلمات (صنعناكم/ ندمركم) لكي يعضد قصده، كما أنه وظّف الفعل الكلامي في صيغة الاستفهام (أين المفر) ليعزز التّعبير الكنائي للملفوظ، فهو ليس استفهام حقيقي وإنما يريد به المرسل إنجاز فعل كلامي غير مباشر متمثّلا في الوعيد فهو يتوعد مسؤولي النّظام بقرب نهاية حكومتهم الفاسدة، ولقد أشار جون سيرل الى أن الكناية تمتاز بصفتين تسمح للمتلقي بالكشف عن تلك المعاني العميقة والمضمرة المقصودة، فالسمة الأولى أنّها مقيّدة بمعنى أن هناك عمليّة يسمح أمر ما بواسطتها باستدعاء أمر آخر، أمّا الخاصيّة الثّانية تتمثّل في أنها نسقيّة، بمعنى يجب أن تكون قابلة للتّبليغ من المرسل إلى المتلقي استنادا إلى نسق من المبادئ العامة المشتركة[37] (محمد حجري الصّراف، 2010، ص145).

إنّ التحدّث عن البلاغة وبالتحديد عن الكناية يكون لتصوير معاني مضمرة يحاول المرسل تمريرها، يقول أزاييط " التّحدث بالبلاغة لتصوير المضمر من المعاني أو اشتقاقه، أو الإشارة إليه، أو اقتضائه، أو استلزامه، هو وسيلة يتيحها استعمال اللّغة وتتفنّن في عرضها الذات المرسلة وكيفما كانت الأساليب اللّغوية المستخدمة لهذا الغرض"[38] الأمر الذي يتّضح في الشعار الآتي: (**100 ناقة لمن يجد كاتب رسائل بوتفليقة**) فالسخريّة الّتي ميزت هذا الخطاب تجعلنا نظن أنّ معناه بسيط، والحق أنه مثقل بمعان ضمنيّة مقصودة يحاول قائلها انجاز فعل كلامي غير مباشر في صيغة الكناية ذلك أنّ الفعل الإخباري المباشر مفاده أنّ المرسل يمنح مائة ناقة للّذي يجيب عن سؤال محيّر: من كاتب رسائل بوتفليقة باعتبار أنه مريض وعلى فراش الموت، فكيف ومتى كتب بوتفليقة الرّسائل الّتي كان يوجهها للشعب وهو الّذي لم يحدث شعبه منذ العهدة الرابعة .

أمّا هذا الشعار (**الشعب يريد الاستقلال**) فقد تمّ ترديده في الجمعة 27 أي في 23 أوت 2019 وسياق الحديث هنا حول لجنة الحوار الّتي تمّ تنصيبها من قبل مؤيّدي الرئيس، فالمتأمّل في هذا الخطاب يجد أنّ البلاد استقلت فكيف يردّد الشّعب ويطالب بالاستقلال، فالمعنى الضّمني لهذا الخطاب الكنائي هو المطالبة بالاستقلال والحرية أي الاستقلال عن هذه الحكومة الفاسدة وعن هذه اللّجنة المنصّبة للحوار حول حلّ الأزمة، هذه اللّجنة غير منبثقة من رحم الشّعب وإنّما يقودها النّظام السّابق مما يعني أنّ الحراك الشّعبي لم يصل إلى مطالبه الشرعيّة وهو الخروج من نفق الأزمة برحيل كل رموز النّظام أي رحيل جميع الوجوه القديمة التّابعة للرئيس المستقيل، فالشّعب يريد حريّة اختيار لجنة حوار من رحم الحراك وليس من طرف النّظام أي لابد أن تمثّل الشّعب الجزائري ذلك أنّ هذه اللّجنة عُيّنت من طرف حكومة غير شرعيّة تفرض نفسها، فهذه اللّجنة خرجت من النّظام الفاسد واحتكرت الحوار فهي تريد الحوار بفرض شروطها وهي بذلك لا تريد التّسوية السّياسيّة وإنّما تدعو إلى عكس ذلك، وهذا ناتج عن الوعي السّياسيّ الّذي تأسّس عليه الحراك الشّعبي الجزائري الرّافض لكل رموز النّظام الفاسد، من هنا يمكننا القول بأنّ الأقوال الكنائية هي أقوال مضمرة بالدرجة الأولى مثلما رأينا من خلال تحليلنا؛ إذ "تكون معانيها معاني استلزامية لأنّ المرسل لا يذكرها باللّفظ الموضوع لها في اللّغة إنّما يأتي إلى ألفاظ تلزمها فيذكرها قاصدا بها طلب ملزوماتها" [39] (ليلى كادة، 2014، ص129).

هناك نماذج كثيرة للافتات مرفوعة أثناء المظاهرات السلميّة وأثار انتباهنا شعار (**يا للعار العصابة تقود الحوار**) فالمرسل في هذا الشّعار يتعجب من هذه العصابة الّتي تقود لجنة الحوار، فكلمة العصابة استعملها المرسل للكناية على رموز النّظام الفاسد (وبالتحديد رئيسها كريم يونس) فعار على هذه العصابة الّتي عاثت فسادا في مختلف الأجهزة والقطاعات، الحراك الشّعبي ثار من أجل إسقاطها فإذا هي تفاجئ الشّعب بقيادتها الحوار الوطني للخروج من نفق الأزمة، فالمرسل هنا عدل عن ذكر أسماء هؤلاء باستعمال كلمة عصابة افتراضا منه أنّها معروفة عند الشّعب الجزائري الذي حاول الكشف عن الحقائق مثلما نكشف عن المعاني الخفيّة المستقصدة في الأقوال الصّريحة.

الاستنتاجات:

يتبيّن من خلال بحثنا هذا أنّ التواصل يتحقّق في أحايين كثيرة بوساطة الخطاب غير المباشر ذي الدّلالة التضمينيّة المضمرة ويندرج تحت هذا النمط الخطاب السياسي بشتى أشكاله ، ولقد حاولنا خلال مسيرة البّحث البرهنة على مدى فاعليّة الكناية وقدرتها باعتبارها مظهرا من مظاهر الضمنيّة في الخطاب على إظهار بلاغة الشّعارات السياسيّة الجزائريّة وابلاغيتها وتداوليتها، حيث استطاعت التأثير في الجمهور (الشّعب الجزائري) وأصبح يردّدها في مسيراته السّلميّة، ولقد أشار فلاسفة اللّغة واللّسانيّين إلى هذا الطّابع الضّمني الّذي يميّز مجمل اللّغات الطبيعيّة أو الخطابات اليوميّة العاديّة، وأنّ هذه المعاني الضمنيّة هي جوانب مقاصديّة من المعنى مرتبطة بقصد المخاطب، الذي يوظّف أساليب بلاغية متنوّعة تجعل خطابه متميّزا مفعما بكثافة دلالية تنقلها الصّيغ اللّغوية بكلّ مستوياتها: الصّرفية، والصّوتية، والتّركيبية، والمعجمية، وفي ذلك تتّخذ الكناية موقعا عظيما فهي أساس أيّة ممارسة لغويّة تطبيقا لعدم شفافية أقوالنا في كلّ المقامات والأحوال، وإن كانت أهميّتها غير بارزة بشكل جليّ في خطاباتنا اليّومية فإنّها في الخطابات السّياسية مثل الشّعارات تتخذّ موقعا لا يستهان به نظرا لما تفرضه السّياسة من قوانين تجبر المخاطب على عدم الإفصاح، وهنا وقصد تمرير القضايا دون إمكانية تحمّل مسؤولية القول تؤدّي الكناية دورا يسمح المخاطب من خلاله بالاحتماء بغير المقول Le Non-dit المنحى الذي يجسّده القول المضمر Le sous-entendu في التّوجّه التّداولي الحديث، إذ يفرض على التّواصل البشري قوانين وينجز في غالبه على أساس الجانب المضمر، نظرا لما يمكن أن ينجرّ عنه من مسؤوليات وأغراض ينبغي الحذر من عواقب ممارستها واستقصادها،

المراجع:

[1] - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (1980)، كتاب العين، دار الرشيد، بغداد، ج 5، (كنى).

[2] - أبو الحسين أحمد بن فارس، (1979)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنّشر، سوريا، ج 5، (كنو).

[3] -محمد بن مكرم بن منظور، (1994)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، ج15، (كنى).

[4]- أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي، (2004)، دلائل الاعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، ط5، القاهرة.

[5] - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، (1981)، مفتاح العلوم، دار الرسالة، بغداد.

[6] - أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي ، المصدر نفسه.

[7] - محمد بن سعد بن عمر القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، 1998م.

[8]- عبد القاهر الجرجاني، (1996)، دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة.

[9]- أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، (1981)، مفتاح العلوم، تقديم أكرم عثمان يوسف، ط1، مطبعة الرسالة، العراق.

[10]- كادة ليلى، (2014)، الأبعاد التداولية للكناية في المنظومة البلاغية العربية، مجلة فصل الخطاب، العدد:6، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر.

[11]- أنظر: آن روبول ، جاك موشلار، (2003)، التّداولية علم جديد في التّواصل، تر: سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني،ط1، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

[12]- أوركيوني كربرات، (2008)، المضمر، ترجمة ريتا خاطر، ترجمة :ريتا أبو خاطر، مراجعة :جوزي فشريم، ط1، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ترجمة ونشر المنظمة العربية للترجمة، بيروت.

[13] - (فيليب بلانشيه، (2007)، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا

[14] - Orecchioni. C.K, (1986), L'implicite, Armand Colin Editeur, Paris.

[15] - منير الجوري، (2018)، الخطاب السياسي والفضاء العمومي في زمنية الاحتجاج، تقديم: ادريس مقبول، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

[16] - Dominique Maingueneau, (2001), Pragmatique pour le discours littéraire, Nathan Université .

[17]- ابن منظور، (2008)، لسان العرب، طبعة جديدة ومنقحة، دار صادر للنشر والتوزيع، مجلد 2، بيروت لبنان.

[18]-عبد القادر الرّازي، (1976)، مختار الصّحاح، مكتبة لبنان، بيروت.

[19]- ابن رشيق القيرواني، (1972)، العمدة، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، ج1.

[20] - ابن رشيق القيرواني، (1972)، العمدة، تحقيق، محمد محي الدين عبد الحميد، ط4، ج1.

[21]- أبو هلال العسكري، (1971)، الصناعتين، تحقيق على محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة.

[22]- أبو هلال العسكري، (1971)، الصناعتين، تحقيق على محمد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم، ط2، القاهرة.

[23]-بول ريكور، (1970)، البلاغة والشّعرية الهيرمونيطيقا، ترجمة مصطفى النّحال، مجلة الحكمة، معهد الدراسات العليا، بلجيكا، جزء البلاغة. https://ketabpedia.com/

[24]- جميل حمداوي، (2013)،"نظريات الحجاج"، قراءة في نظريات معاصرة، مجلة المنهاج، مركز الغدير للنشر والتّوزيع، العدد السبعون، لبنان.

[25]- انظر: جميل حمداوي، (2013)، نظريات الحجاج. قراءة في نظريات معاصرة، مجلة المنهاج، مركز الغدير للنشر والتّوزيع، العدد السبعون، لبنان.

[26] - Reboul. O, (1991), Introduction à la rhétorique, Théorie et pratique, P.U.F, Paris.

[27] - Braud. PH, (1992), La vie Politique, Editions Que sais-je ? Paris.

[28]-Austin. J, (1970), Quand dire c'est faire, Traduction et introduction de Gille Lanes, Editions de Minuit, Paris.

[29]-نزار التجديتي، (2016)، حكومة عبد الله إبراهيم وربيع الديمقراطية المغربية: المشهد الاستعاري والأسلوب الكنائي قراءة في بلاغة الخطاب السياسي للملك محمد الخامس، ضمن كتاب بلاغة الخطاب السياسي، إعداد وتنسيق: محمد مشبال، كلمة للنشر والتوزيع بالتعاون مع منشورات الاختلاف وضفاف ودار الأمّان، بيروت، لبنان، ط1.

[30] - حبيب أعراب، (2001)، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، العدد1، الكويت، ص110.

[31]-بنعيسى عسو أزاييط، (2012)، الخطاب اللساني العربي، ج2، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.

[32] -مسعود بودوخة، (2012)، اجتماعية الكناية، مجلة الأثر، عدد خاص أشغال الملتقى الوطني الأول حول اللسانيات والرواية يومي 22 و23 فيفري.

[33] -بنعيسى عسو أزاييط، (2012)، الخطاب اللّساني العربي، المرجع السابق.

[34] -باديس لهويمل، (2014)، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد ن الأردن.

[35] -باديس لهويمل، (2014)، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، المرجع نفسه.

[36]- ينظر: باديس لهويمل، (2014)، مظاهر التداولية في مفتاح العلوم للسكاكي، المرجع نفسه.

[37]-علي محمود حجي الصراف، (2010)، في البراغماتية الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.

[38] -بنعيسى عسو أزاييط، (2012)، الخطاب اللساني العربي، ج2، المرجع السابق.

[39] -كادة ليلى، (2014)، الأبعاد التداولية للكناية في المنظومة البلاغية العربية، المرجع السابق.

سير ذاتية للمؤلفين

ذهبية حمو الحاج أستاذة التّعليم العالي بجامعة مولود معمري، تيزي وزو، متحصّلة على شهادة التّأهيل الجامعي في تخصّص اللّغة والأدب العربي، عضوة في مخبر تحليل الخطاب، ومكلّفة برئاسة عدّة مشاريع بحثية من صيغة cnepru، وprfu. شاركت في عدد كبير من لجان المناقشات الأكاديمية: الماستر، الماجستير، الدكتوراه، والتّأهيل الجامعي (رئيسة وعضوة مناقشة)، وأشرفت على عدد من المذكّرات والرّسائل والأطروحات العلمية. كما تمّ اعتمادها خبيرة في العديد من المجلات العلمية الأكاديمية الوطنية والدّولية، مثلما كانت لها عضوية في اللّجان العلمية الخاصّة بالملتقيات والمؤتمرات الوطنية والدّولية، التي شاركت في عدد منها في موضوعات مرتبطة باللّسانيات، والخطاب، والتّحليل التّداولي، وقضايا اللّغة العربية عامّة وتعليمها بخاصّة. وصدر لها عدد من الكتب الموسومة بـ: لسانيات التّلفظ وتداولية الخطاب، التّداولية واستراتيجية التواصل، في قضايا الخطاب والتّداولية، وأخيرا كتاب: واقع تعليم اللّغة في المدرسة الجزائرية.

لامية قداش: حاصلة على شهادة الدكتوراه من جامعة أمحمد بوقرة بومرداس(الجزائر) سنة 2021 في تخصّص اللّسانيات التداوليّة وتحليل الخطاب، شاركت في العديد من الملتقيات الدوليّة والوطنيّة، ونشرت مجموعة من المقالات تتراوح مواضيعها بين اللّسانيّات واللّسانيّات التداوليّة والعرفانيّة وتعليميّة اللّغات، إضافة إلى المشاركة في الكتب الجماعيّة، كما قمت بنشر كتاب بعنوان: الإضمار في الخطاب السياسي الإعلاميّ- البرامج الحواريّة نموذجا-دار نور للنشر الالكتروني(2023).